

دعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى في ضوء القرآن الكريم

أ. حمزة عبد الله سعادي شواهنة

محاضر/ جامعة القدس المفتوحة - فلسطين

باحث في الدراسات القرآنية، كلية العلوم التربوية تفسير وعلوم قرآن

البريد الإلكتروني hamzahamza1985@outlook.sa

ملخص

هذا البحث بعنوان (دعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى في ضوء القرآن الكريم)، وقد هدف البحث إلى تسليط الضوء على هدي الرسل عليهم السلام في الوصية بالتقوى من خلال آيات الكتاب العزيز، ولتحقيق هذا الهدف سلك الباحث المنهجين الاستقرائي والاستنباطي وفق طريقة التفسير الموضوعي، بحيث يعرض الآيات القرآنية التي تناولت موضوع تذكير الرسل عليهم السلام لأقوامهم بهذه القضية المهمة، ثم استنباط أبرز القيم التربوية المستفادة من وصاياهم بها، وقد خلص البحث في نتائجه إلى أنّ التقوى صفة لازمة لكلّ مسلم، كما أنّها وصية جميع الرسل عليهم السلام إلى أقوامهم، إضافة إلى ترثب ثمرات عظيمة للتحلّي بها في الدنيا والآخرة، وأوصت الدراسة بضرورة صياغة المربين لنظرية تربوية إسلامية تركز في مضمونها على تقوى الله ﷻ.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التفسير، التفسير الموضوعي، التقوى، الدعوة، الرسل.

**The apostles' peace be upon them their piety to
piety in the light of the Quran**

**Prepared by
Hamza Abdullah Sa'adeh Shawahneh
Part time lecturer in the Fundamentals of Islam
Department
College of Education – Al-Quds Open University**

Abstract

This research entitled Call of the Apostles peace be upon them their people to piety in the light of the Holy Quran, The aim of the research was to shed light on the guidance of the Prophets and Apostles, peace be upon them, in the commandment of piety through the verses of the Book, in order to achieve this goal, the researcher used the inductive and deductive methods according to the method of objective interpretation, so that the Quranic verses that dealt with the subject of reminding the apostles peace be upon them to this important issue, and then devising the most important educational values learned from those verses containing their commandments, the research concluded that piety is a necessary attribute for every Muslim, it is also the will of all the apostles - peace be upon them - to their people, in addition to arranging great fruits to be revealed in this world and the Hereafter, the study recommended the need to formulate educators for an Islamic educational theory based on the content of God's strength and control.

Key words: The Holy Qur'an, interpretation, Piety, the invitation, The prophets.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين،
أمّا بعد:

فإنّ التقوى من أهمّ الصفات التي يحرص الإسلام على تخلّق المسلم بها؛ لأنها غاية الدّين، والجالبة لكلّ خير، والصارفة عن كلّ شرّ، لذا كانت عناية القرآن الكريم بها عظيمة، ومن هنا كان المقصد الأعظم من وصايا الرسل عليهم السلام هو الوصول بالمسلم إلى منزلة المتّقين، فجاء البحث ليسلّط الضوء على دعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى في ضوء القرآن الكريم، حيث تناول البحث منهج الرسل عليهم السلام في الوصيّة بالتقوى، وصولاً إلى استنباط أبرز الجوانب التربويّة من دعوتهم عليهم السلام أقوامهم إلى التحلّي بها.

- أهمية البحث:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من الاعتبارات الآتية:

- 1-أهمية الموضوع نفسه الذي تبحث فيه الدراسة، وهو مقام التقوى.
- 2-أن هذه الدراسة تتعلق بصفوة الخلق وهم الرسل عليهم السلام.
- 3-أن هذه الدراسة تعالج موضوعاً تربوياً مهماً، وهو: هدي الأنبياء والرسل عليهم السلام في دعوتهم للتخلّق بتقوى الله عزّ وجلّ؛ وذلك ليتحلّى المسلم بهذه القيمة الأساسيّة.
- 4-أن الأمة الإسلامية في الزمن الحاضر في أمسّ الحاجة إلى هذا النوع من الإعداد الإيماني.

- مشكلة البحث:

هذا وتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:
ما هدي الأنبياء والرسل عليهم السلام في الدعوة إلى التقوى في ضوء القرآن الكريم؟

وتتفرع عن هذه المشكلة ثلاثة أسئلة أساسية:

- 1- ما الأساليب التي استعملها الرسل عليهم السلام في دعوة أقوامهم إلى التقوى؟
- 2- من الرسل عليهم السلام الذين قصّ القرآن الكريم دعوتهم لأقوامهم بتحقيق التقوى؟
- 3- ما ثمرات التقوى في الدنيا والآخرة؟
- 4- ما القيم التربوية المستنبطة من دعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى؟

- أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

- 1- التعرف على هدي الرسل عليهم السلام في الدعوة إلى منزلة التقوى.
- 2- بيان مفهوم التقوى ونظائرها وأهميتها وثمارها.
- 3- استجلاء القيم التربوية للتقوى، والتي تسهم بدورها في رسم أبرز ملامح الشخصية المسلمة التقيّة.
- 4- دعوة المسلمين إلى تحقيق تقوى الله ﷻ في كل جوانب حياتهم؛ وذلك بذكر أفضل النماذج البشرية التي حققت تقوى الله ﷻ.
- 5- أن هذا البحث يعالج قضية تربوية مهمة، وهي تثبيت حقيقة غائبة عن الوعي الإسلامي، ألا وهي أن التقوى صفة لازمة لكلّ مسلم، وأنها ليست قضية هامشية.

- الدراسات السابقة وما يضيفه البحث إليها:

من الدراسات السابقة المتعلقة بالتقوى في القرآن الكريم، رسالة ماجستير موسومة بـ (التقوى في القرآن الكريم تفسير موضوعي) للطالب نبيل زهور⁽¹⁾، ورسالة ماجستير أخرى موسومة بـ (التقوى في القرآن الكريم دراسة موضوعية) للنويصر⁽²⁾.

فقد تعرضت الدراسة السابقة لموضوع التقوى في القرآن الكريم، وبيان مفهومها وحقيقتها، وتوضيح ثمارها، وذكر نظائرها، وتعداد آثارها، ولستقرأ صفات المتقين، وبعد البحث في الدراسات السابقة لم يعثر الباحث على أي دراسة قرآنية منشورة درست هذا الموضوع بشكل مستقل سوى هذه الدراسة، على الرغم من تناول الدراسة المشار إليها موضوع التقوى بعمومها في ضوء القرآن الكريم. لذا يتبين ندرة الدراسات القرآنية المحكّمة التي جمعت شتات هذا الموضوع، وحاولت بيان منهج الرسل عليهم السلام في دعوة أقوامهم إلى تحقيق تقوى الله ﷻ في ضوء آيات الكتاب العزيز فحسب.

- ما يضيفه البحث:

ما ندّعيه لهذه الدراسة من فروقات عن غيرها وما تضيفه علمياً هو: إبرازها هدي الرسل عليهم السلام خصوصاً في تذكير أقوامهم بالتقوى من خلال آيات القرآن الكريم، فعلى الرغم من وجود دراسات قرآنية بحثت موضوع التقوى في القرآن الكريم، إلا أنها لم تتطرق البتة إلى البحث في منهج الرسل عليهم السلام في الوصية بتقوى الله

¹ التقوى في القرآن الكريم تفسير موضوعي. زهور، نبيل محمد أحمد. رسالة ماجستير، فلسطين، كلية الشريعة، جامعة النجاح، 2008م.

² التقوى في القرآن الكريم دراسة موضوعية. النويصر، عبدالله بن ناصر بن صالح، رسالة ماجستير، السعودية، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1408هـ.

وَجَلَّ شَكْلٌ مُسْتَقْل - عَلَى حَدِّ اِطْلَاعِ الْبَاحْثِ -، فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ فَإِنَّ الدِّرَاسَةَ الْمَشَارَإِلَيْهَا لَمْ تُتَطَرَّقْ إِلَى هَذَا الْمَوْضُوعِ إِلَّا فِي صَفْحَةٍ وَاحِدَةٍ.

- حُدُودُ الْبَحْثِ:

سَيَعْتَمِدُ هَذَا الْبَحْثُ عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَحَسَبْ؛ إِذْ هُوَ الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ لِلتَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَكِنَّ الْبَاحْثَ سَيَعْرِجُ عَلَى التَّفَاسِيرِ الْأَصِيلَةِ، لِذَا سَتَقْتَصِرُ الدِّرَاسَةُ فِي حَدِّهَا الْمَوْضُوعِيِّ عَلَى دِرَاسَةِ الْآيَاتِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ تَذْكَيرَ الرِّسْلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ أَقْوَامَهُمْ بِالتَّقْوَى سِوَاءِ وَرْدِ ذَلِكَ بِصِيغَةِ الْأَمْرِ، أَوْ بِالْحُضْ عَلَى التَّخَلُّقِ بِهَا أَوْ بِيَانِ ثَمَارِهَا.

- مَنَهِجُ الْبَحْثِ:

طَبِيعَةُ الْبَحْثِ وَأَهْدَافُهُ تَتَطَلَّبُ اسْتِخْدَامَ الْمَنَهِجَيْنِ الْاسْتِقْرَائِيِّ وَالْاسْتِنْبَاطِيِّ، بَحِثٌ يَسْتَقِرُّ الْبَاحْثُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ دَعْوَةَ الرِّسْلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ أَقْوَامَهُمْ إِلَى التَّقْوَى، ثُمَّ يَسْتَنْتِجُ الْفَوَائِدَ وَالْمَعَانِي التَّرْبَوِيَّةَ الْمُسْتَنْبَطَةَ مِنْ تِلْكَ النَّمَاذِجِ الْقُرْآنِيَّةِ.

- خُطَّةُ الْبَحْثِ:

تَمَّ تَقْسِيمُ الْبَحْثِ إِلَى مُقَدِّمَةٍ، وَثَلَاثَةِ مَطَالِبَ، وَخَاتَمَةٍ، كَمَا يَأْتِي:
المُقَدِّمَةُ: وَتَضَمَّنَتْ أَهْمِيَّةَ الْمَوْضُوعِ، وَمَشْكِلَتَهُ، وَأَهْدَافَهُ، وَحُدُودَهُ، وَالدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةَ، وَمَنَهِجِيَّةَ الْبَحْثِ.

المَطْلَبُ الْأَوَّلُ: مَفْهُومُ التَّقْوَى وَنُظَائِرُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.
المَطْلَبُ الثَّانِي: نَمَاذِجُ قُرْآنِيَّةٍ مِنْ دَعْوَةِ الرِّسْلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ أَقْوَامَهُمْ إِلَى التَّقْوَى.
المَطْلَبُ الثَّالِثُ: الْقِيَمُ التَّرْبَوِيَّةُ الْمُسْتَنْبَطَةُ مِنْ دَعْوَةِ الرِّسْلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ أَقْوَامَهُمْ إِلَى التَّقْوَى.

الخَاتَمَةُ: وَتَشْتَمِلُ عَلَى أَهَمِّ النَّتَائِجِ وَالتَّوَصِيَّاتِ.

المطلب الأول: مفهوم التَّقوى ونظائرها في القرآن الكريم

سيبين الباحث في هذا المطلب المقصود بالتَّقوى، من خلال تأصيل المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح، ثم سيعرّج على ذكر نظائر لفظ التَّقوى في التنزيل العزيز، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: مفهوم التَّقوى

أولاً: معنى التَّقوى لغة:

التقوى: اسم مأخوذ من الوقاية، وهي مشتقة من المادة الثلاثية (وَقَى)، وعرفها الراغب بآئها: "حِفظ الشيء مما يؤذيه ويضرّه. يقال: وقيتُ الشيءَ أقيّه وقايةً ووقاءً... قال تعالى: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً} [التحریم: 6]".⁽³⁾ ومن خلال النظر في معاجم اللغة العربيّة، يلاحظ الباحث بأنّ معنى التَّقوى في أصلها اللغوي يدلّ على جعل وقاية حيال شيء مُعيّن.

ثانياً: معنى التَّقوى اصطلاحاً:

أمّا التَّقوى في الاصطلاح، فقد عُرِّفت بتعاريف عديدة؛ وأجمع تعريف لها - كما يرى الباحث - ما ذكره الجرجاني بأنّ "التَّقوى في الطّاعة يراد بها: الإخلاص، وفي المعصية يراد بها: التّرك والحذر".⁽⁴⁾

ومن خلال النظر في التعريف السابق، نخلص إلى أنّ التَّقوى في اصطلاح الشرع قد أضافت إلى معناها اللغويّ أمراً آخر، ألا وهو: أنّ الله وَجَّهَهُ الذي ينبغي

³ أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق: دار القلم، وبيروت: دار الشامية، 1412هـ، (ص: 881).

⁴ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، ط1، لبنان - بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ / 1983م، (ص: 65).

أَن يُتَّقَى وَيُجَلَّ وَيُخْشَى عِقَابَهُ، كما قرر ﷺ بقوله: {هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} [المذثر: 56]؛ ذلك لأنَّه هو الذي بيَّنه الخلق والأمر، وبالتالي فإنَّ تقوى الله ﷻ هي: الخوف منه؛ وذلك بفعل أوامره، والكفَّ عن زواجره، كما يُلحظ أنَّها كما اشتملت على اتِّقاء الرذائل، كذلك اشتملت على الاجتهاد في تحصيل الفضائل.

وقد ظهر ممَّا سبق، أنَّ مفهوم التقوى في اصطلاح الشرع يتوافق مع التعريف اللغوي لها، كما يُلحظ كذلك أنَّ مفهوم التقوى في الاصطلاح الشرعي يوافق مفهوم التقوى في المنظور القرآني، حيث تردَّدت التقوى بمعناها القرآني على صورتين أساسيتين؛ ففي الصورة الأولى: تُضاف التقوى إلى اسم الله ﷻ؛ باعتباره أهلاً لأنَّ نتَّقيه، فيكون المعنى: اتِّقاء غضب الله وعقابه الدنيويِّ والأخرويِّ، وفي الصورة الثانية: تُضاف التقوى إلى عقاب الله أو مكانه، أو زمانه، ومن ذلك قوله ﷻ: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} [البقرة: 281]، وفي ظلال هذه المعاني جاءت - كذلك - وصايا الرسل عليهم السلام جميعهم بها لأقوامهم.⁽⁵⁾

ثالثاً: المقصود بدعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى:

والمقصود بدعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى في هذا البحث، هو: دراسة الآيات القرآنيَّة التي وردت في سياق دعوة الرسل والأنبياء عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى، - سواء ورد ذلك بصيغة الأمر، أو بالحضِّ على التخلُّق بها أو ببيان ثمارها -.

الفرع الثاني: نظائر التقوى في القرآن الكريم

من خلال تتبُّع الباحث للألفاظ التي وردت في كتاب الله الكريم، وحملت

في طياتها بعض معاني التقوى، تبين أنَّها خمسة ألفاظ، وهي:

⁵ كما سيأتي في المطلب الثاني.

أولاً: الخوف: ورد الخوف بمعنى التقوى في قوله ﷻ: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل: 5].

ثانياً: الخشية: وردت الخشية بمعنى التقوى في قوله ﷻ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28].

ثالثاً: الرهبة: وردت الرهبة بمعنى التقوى في قوله ﷻ: {هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ} [الأعراف: 154].

رابعاً: الوجل: ورد الوجل بمعنى التقوى في قوله ﷻ: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ} [المؤمنون: 60].

خامساً: الإشفاق: ورد الإشفاق بمعنى التقوى في قوله ﷻ: {وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: 28].

المطلب الثاني: نماذج قرآنية من دعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى

الرسول عليهم السلام هم سادات المتقين، وقد قص الله ﷻ علينا في كتابه العزيز جانباً من حرص العديد منهم عليهم السلام على تذكير أقوامهم بقضية التقوى.

لذا سأستعرض في هذا المطلب دعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى من خلال آيات القرآن الكريم، ذاكراً اسم الرسول الذي تعرّض الكتاب العزيز لجانب من تذكيره قومه بها، سواء ورد ذلك بصيغة الأمر الصريح، أو بأسلوب النصيح أو بذكر ثمارها، ثم مثنيّاً بالآيات الكريمة الدالة على ذلك، ثم مبيناً معنى الآيات القرآنية بصورة إجمالية، أو معقّباً عليها، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: دعوة نوح عليه السلام إلى التقوى:

حكى القرآن الكريم دعوة نوح عليه السلام قومه إلى التقوى، وذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومنها:

الأول: قول الله ﷻ: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23)} {المؤمنون: 23}.

"وقوله (أَفَلَا تَتَّقُونَ) تحذير لهم من الإصرار على شركهم، بعد ترغيبهم في عبادة الله -تعالى- وحده بالطف أسلوب، أي: أفلا تتقون الله تعالى وتخافون عقوبته؛ بسبب عبادتكم لغيره، مع أنه - سبحانه - هو الذي خلقكم، فلاستفهام للإنكار والتوبيخ." (6).

والثاني: قول الله ﷻ: {كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (110) قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111)} {الشعراء: 105 - 111}.

والمأمل في كثرة تكرار دعوة نوح ﷺ قومه إلى التقوى وبأساليب متنوعة، يتأكد من خطورة هذا الموضوع، وأنه فريضة وليس فضيلة أو أمراً تجميلاً لا يضُرُّ المسلم فقده، وهذا هو البعد الأعظم في هذه القضية، لذا ينبغي على الدعاة أن يبرزوا هذا البعد بجلاء.

وفي تقديم الأمر بتقوى الله ﷻ على الأمر بطاعته؛ إيماء إلى أن التقوى رأس كل أمر، وجماع كل خير، والغاية من تشريع العبادات جميعها.

ولعل في تكرار الأمر بتقوى الله ﷻ في قصة نوح ﷺ ههنا، إيماء إلى أنه ﷺ "كأنه يتصالح مع قومه، فيُخَفِّف من أسلوب النصيح، ويأتي بالأمر صريحاً بعد أن أتى به في صورة إنكار ألا يكونوا متقين" (7).

⁶ محمد السيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، (25 / 10).

⁷ محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي - الخواطر، ط1، مطابع أخبار اليوم، (د. م)، 1997م، (17/ 10621).

والثالث: قول الله ﷻ: {قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ، أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا} [نوح: 2-3].

والرابع: قول الله ﷻ: {أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذَكَرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (63) {[الأعراف: 63].

ومعنى قوله: {وليتقوا}: وكي تتقوا عقابَ الله وبأسه؛ بتوحيده، وإخلاص الإيمان به، والعمل بطاعته. {ولعلكم ترحمون}: وليرحمكم ربكم ﷻ إن اتقيتموه، وحذرتكم بأسه.⁽⁸⁾

ثانياً: دعوة هود عليه السلام إلى التقوى:

حكى القرآن الكريم دعوة هود عليه السلام قومه إلى التقوى، وذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومنها:

الأول: قول الله ﷻ: {كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (127) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (136)} [الشعراء: 123 - 136].

⁸ انظر، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط1، (د. م)، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م، (12/ 501).

وفي قوله: {أَلَا تَتَّقُونَ} تحتمل (ألا) أن تكون كلمتين، همزة الاستفهام الإنكاري ولا النافية، فيكون المقصود أن يُنكر عليهم عدم التقوى، وتحتمل أن تكون (ألا) حرفاً واحداً هو أداة تخصيص وحث على التقوى.⁽⁹⁾

والثاني: قول الله ﷻ: {وَالِىَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [الأعراف: 65].

وقوله {أَفَلَا تَتَّقُونَ} أي: أفلا تتقون ما يُسخط الله ﷻ من الشرك والمعاصي؛ لتنجوا من عقابه؟ والاستفهام هنا للإنكار، واستبعاد عدم الإيمان، بعد أن كان من عقابه ﷻ لقوم نوح ما كان.⁽¹⁰⁾

ثالثاً: دعوة صالح عليه السلام إلى التقوى:

حكى القرآن الكريم دعوة صالح عليه السلام قومه ثمود إلى التقوى، وذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومنها:

الأول: قول الله ﷻ: {كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمَنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي نُبِيتُ بِأَرْحِيقٍ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151)} [الشعراء: 141 - 151].

وتكرر الأمر بتقوى الله على ألسنة كثير من الرسل عليهم السلام، حيث تردّد عبارة: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} على لسان كل من نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم

⁹ انظر، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (د. ط)، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ، (158 / 19).

¹⁰ انظر، محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (د. ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، (442 / 8).

السلام؛ وذلك "لأنها العمدة في جميع الأعمال، فيجب على العامل ملاحظتها إذا أراد الإحسانَ وتجويدَ العمل".⁽¹¹⁾

والثاني: قول الله ﷻ: {فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (32)} [المؤمنون: 32].

واختلف المفسرون في تحديد مَنْ هو هذا الرسول المبهَم اسمه في هذه القصة، ولكنّ الراجح والله أعلم أنّ هذا الرسول هو صالح وليس هوداً أو شعيباً عليهم السلام، واختار هذا القول الطبري⁽¹²⁾ وغيره، وسبب اختيارهم لهذا القول؛ لأنه الذي يناسبه قوله ﷻ في نهاية القصة: {فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ} [المؤمنون: 41]، ومعلوم أنّ قوم صالح أهلكوا بالصيحة.

رابعاً: دعوة إبراهيم عليه السلام إلى التقوى:

حكى القرآن الكريم دعوة إبراهيم عليه السلام قومه إلى التقوى، وذلك في قول الله ﷻ: {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 61].

"يقول -تعالى ذكره- لنبيه محمد ﷺ: واذكر أيضاً يا محمد إبراهيم خليل الرحمن، إذ قال لقومه: اعبدوا الله -أيها القوم- دون غيره من الأوثان والأصنام، فإنه لا إله لكم غيره، (واتقوه) يقول: واتقوا سخطه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه".⁽¹³⁾

خامساً: دعوة لوط عليه السلام إلى التقوى:

حكى القرآن الكريم دعوة لوط عليه السلام قومه إلى التقوى، وذلك في قوله ﷻ: {كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا لُوطَ بْنَ أَبِي هَبْشَةَ (163)} [الشعراء: 160 - 163].

¹¹ انظر، أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي. ط1، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1365هـ - 1946م، (82/19).

¹² الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (28/19).

¹³ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (18/20).

والمُتأمل في تكرار عبارات الرسل عليهم السلام ذاتها في التذكير بالتقوى، يخلص إلى أن التقوى وصية الرسل الكرام عليهم السلام جميعهم، فما من نبيٍّ إلَّا وأمر أمته بعبادة الله ﷻ وتقواه.

سادساً: دعوة شعيب عليه السلام إلى التقوى:

حكى القرآن الكريم دعوة خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام قومه إلى التقوى، وذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومنها قول الله ﷻ: {كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (179) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (180) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183) وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ (184) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ} [الشعراء: 176 - 185].

ومما يسترعي النظر في الآيات المتتالية في سورة الشعراء، تعاقبُ ثلثة مباركة من الرسل عليهم السلام على تكرار التذكير بقضية التقوى حتى بالصيغ والأساليب ذاتها، ويجب الإمام القرطبي رحمه الله عن هذا الأمر بقوله: "وإنما كان جواب هؤلاء الرسل واحداً على صيغة واحدة؛ لأنهم متفقون على الأمر بالتقوى، والطاعة، والإخلاص في العبادة، والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة"¹⁴، وفي هذا دلالة على أن رسالة الرسل عليهم السلام جميعاً واحدة، وأن المرسلين عليهم السلام قاطبة ينتسبون إلى أصل واحد هو الإسلام العام، حيث ارتضاه الله ﷻ لنفسه، وشرعه لعباده، ثم وصى به رُسله الكرام، ومما اتفقت عليه شرائع الأنبياء عليهم السلام ما يرتبط بالنفوس وتزكيتها، كالدعوة إلى تقوى الله ﷻ وخشيته، ومن هنا جاء تشبيه النبي محمد ﷺ

¹⁴ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ / 1964م، (13/ 135).

الأنبياء كافة بأبناء أب واحد، وذلك في قوله: "والأنبياء إحوة لعلات؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد".⁽¹⁵⁾.

ويُلاحظ أنّ أمر الرسل عليهم السلام لأقوامهم بالتقوى بقولهم: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا}، قد تردّد تارة مرة وأخرى مرتين، حيث ورد في الحديث عن قوم نوح وهود وصالح عليهم السلام مرتين؛ ولعل ذلك يرجع إلى طغيان قوم نوح وقوم هود وقوم صالح أكثر من طغيان الأقوام الآخرين، بينما ورد مرة واحدة عند الحديث عن قوم لوط؛ ولعل ذلك يرجع إلى أنّ مفاسدهم كانت فيما بينهم.

ولوحظ أيضاً استعمال الرسل عليهم السلام لأسلوب الترغيب، وذلك في معرض دعوتهم لأقوامهم إلى التقوى، فهذا شعيب عليه السلام يخاطب أصحاب الأيكة بذكر نعم الله عز وجل: {وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ} [الشعراء: 184]، وهذا هود عليه السلام يعدّد نعم الله على عاد بقوله: {وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بما تعلمون} [الشعراء: 132]، ولعل السرّ في ذلك يعود إلى أنّ تذكّر الأقوام لنعم الله عز وجل عليهم مدعاة إلى شكر المنعم؛ بفعل أوامره، والكف عن زواجه، وهذه هي ثمرة التقوى.

سابعاً: دعوة موسى عليه السلام إلى التقوى:

حكى القرآن الكريم دعوة الكليم موسى عليه السلام بني إسرائيل إلى التقوى، وذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم، منها:

الأول: قول الله عز وجل: {وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11) { [الشعراء: 10 - 11].

¹⁵ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. ط3، بيروت: دار ابن كثير، 1407هـ / 1987م، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} [مريم: 16]، حديث رقم (3443)، (4/167).

"أي: قُلْ لهم يا موسى ألا تتقون ربكم؟ واعرض عليهم هذا العرض؛ لأن الطلب يأتي مرة بالأمر الصريح: افعل كذا، ومرة يتحنن إليك بأسلوب العرض، ألا تفعل كذا؟ على سبيل الاستفهام والعرض والحض"¹⁶ ().

"والمعنى: ألا يتقون الله في ظلمهم لأنفسهم باتخاذهم مع الله شريكاً ولا إله غيره، وظلموا بني إسرائيل في أنهم يُذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم"¹⁷ ().

والثاني: قول الله ﷻ: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف: 128].

ويُلاحظ من الآية الآنفه، أن ثمار التقوى كثيرة ومتنوعة، سواء في الدنيا أو الآخرة، ومن ثمراتها حصول العاقبة الحسنة والطيبة لأهلها في الدنيا والآخرة.

ثامناً: دعوة إلياس عليه السلام إلى التقوى:

حكى القرآن الكريم دعوة إلياس عليه السلام قومه إلى التقوى، وذلك في موضع واحد في القرآن الكريم، وهو قول الله ﷻ: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ} [الصافات: 123-124].

ويتبين من دعوة إلياس عليه السلام بني إسرائيل إلى التمسك بالتقوى، أن التقوى ليست مقاماً لا يرقى إليه إلا الخواص فقط، كما أنها ليست مفهوماً نظرياً، بل هي في جوهرها حالة روحانية ينبغي أن تتجسد في سلوك المرء، وإلا لما كان لوصايا الرسل عليهم السلام أقوامهم بها أي معنى.

تاسعاً: دعوة عيسى عليه السلام إلى التقوى:

حكى القرآن الكريم دعوة المسيح عليه السلام قومه إلى التقوى، وذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومنها:

¹⁶ الشعراوي، تفسير الشعراوي، (17/ 10546).

¹⁷ الشعراوي، تفسير الشعراوي، (17/ 10546).

الأول: قول الله ﷻ: {وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (50)} {آل عمران: 50}.
والثاني: قول الله ﷻ: {وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (63)} {الزخرف: 63}.

والثالث: قول الله ﷻ في قصة المائدة: {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112)}
 قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113)} {المائدة: 112، 113}.

وقول المسيح ﷺ حين أجابهم بقوله: {اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} أمر بملازمة التقوى وعدم تزلزل الإيمان، ولذلك جاء ب {إِنْ} المفيدة للشك في الإيمان؛ وذلك ليعلم الداعي إلى ذلك السؤال خشية أن يكون نشأ لهم عن شك في صدق رسولهم، فسألوا معجزة يعلمون بها صدقه بعد أن آمنوا به، فالمراد بالتقوى في كلام عيسى ﷺ ما يشمل الإيمان وفروعه. وقيل: فهاهم عن طلب المعجزات، أي: إن كنتم مؤمنين فقد حصل إيمانكم، فما الحاجة إلى المعجزة؟⁽¹⁸⁾

ولما كان سؤال آيات الاقتراح منافياً للانقياد للحق، وكان هذا الكلام الصادر من الحواريين ربما أوهم ذلك، وعظهم المسيح ﷺ بقوله: {اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}؟ فإن المؤمن يحمله ما معه من الإيمان على ملازمة التقوى، وأن ينقاد لأمر الله ﷻ، ولا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدري ما يكون بعدها شيئاً.⁽¹⁹⁾

عاشراً: دعوة محمد ﷺ إلى التقوى:

¹⁸ انظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (7/106-107).

¹⁹ انظر، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التنزيل، تخريج: الإمام الزيلعي. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ، (1/693).

حكى القرآن الكريم دعوة محمد ﷺ قومه إلى التقوى، وذلك في موضع واحد في القرآن الكريم، وهو قول الله ﷻ في حادثة زيد ﷺ وقصته مع زوجته: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} [الأحزاب : 37].

كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يأمر أصحابه رضي الله عنهم بالتقوى؛ ومن قبل رسولنا الكريم دأب أنبياء الله ورسله عليهم السلام عبر التاريخ الإنساني المديد على دعوة أقوامهم إلى تقوى الله ﷻ، وإن تكرار الأمر بالتقوى في دعوة الرسل ليدل بوضوح على أنها أمر مستمر، وأما الدعوة الأولى لكل نبوة ورسالة؛ وذلك تذكيراً للناس بطريق الإيمان ودعامته، وإرشاداً لهم بسلوك سبيل فلاحهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة.

وتبين مما سبق في هذا المطلب، أن الله ﷻ جعل التقوى وصيته الكبرى لرسوله الكرام عليهم السلام إلى أقوامهم، وعليه ينبغي على المسلم أن يتخلق بتقوى الله ﷻ في أحواله جميعها.

كما نخلص إلى أنه ينبغي استمرار المربين في التذكير بقضية التقوى؛ لأن المرء يحتاج إليها في كل حالاته؛ لتقويته في حالة ضعفه، ولتثبته عليها في حالة ابتلائه، ولتزيده منها في حالة مراقبته لله ﷻ.

وفي ختام هذا المطلب أحسب أن القارئ طوّف في جنبات الوصية بالتقوى في حياة الرسل عليهم السلام، وتعرّف على هدي المتقين من البشر في التذكير بها، ووقف على مشاهد من أساليبهم في الحث على التحلي بها، واتضح له إجابة السؤال الثاني: من هم الرسل عليهم السلام الذين قصّ الله ﷻ علينا في كتابه العزيز جانباً من حرصهم على تذكير أقوامهم بهذه القضية المهمة.

فإذا كان ذلك كذلك؛ فإني أزعّم أنّ القارئ قد تشوّقت نفسه؛ لمعرفة القيم التربويّة المستنبطة من دعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى، وهذا هو موضوع المطلب التالي.

المطلب الثالث: القيم التربوية المستنبطة من دعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى
بعد الانتهاء من بيان النصوص القرآنية التي تضمّنت دعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى؛ فإنه يحسن بالباحث أن يعرّج على أهمّ الجوانب التربوية المستنبطة من تلك النماذج القرآنية، ومن أهمّ تلك الجوانب ما يأتي:

1- التقوى وصيّة جميع الرسل عليهم السلام إلى أقوامهم: فإنّ المتأمل في منهج الرسل عليهم السلام عموماً، يخلص إلى أنّه ليس في الكتاب العزيز ولا في السنّة المطهّرة من خصلة فاضلة لقيت من الحفاوة مثل خصلة التقوى، وحسبك أنّها وصيّة الله ﷻ للأولين والآخرين إلى يوم الدين، حيث أوصى الله ﷻ بها كلّ البريّة، فقال ﷻ: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: 131]، قال القرطبي رحمه الله: "الأمر بالتقوى كان عامّاً لجميع الأمم" (20)، فلا غرو إذن من أن تكون التقوى أمّ وصايا جميع الرسل الكرام عليهم السلام، فما من نبيّ إلا وأوصى أمته بها، فهذا هو ذا نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإلياس عليهم السلام كلّ منهم يوصي قومه بقوله: {أَلَا تَتَّقُونَ}، فضلاً عن الأوامر الصريحة التي تردّدت كثيراً على ألسنة الرسل عليهم السلام بالتحلّي بها، فمن خلال هذه الوصايا التي أطلقها الرسل عليهم السلام لأقوامهم عبر التاريخ الإنسانيّ المديد، نتبيّن شرف منزلة التقوى، وهكذا استمرّت الوصيّة بها من قبل الأنبياء عليهم السلام جميعاً، وزادها النبيّ الخاتم محمد ﷺ بياناً؛ لعظيم شأنها، فكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يأمر أصحابه ﷺ بها في مختلف المناسبات، ففي يوم حجة الوداع على سبيل المثال لا

²⁰ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (5/ 408).

الحصر، حينما وَعَظَ الناس فقالوا له: كَانَتْهَا مَوْعِظَةٌ مَوْذَعٌ فَأَوْصِنَا، بَدَأَ وَصِيَّتَهُ بِالتَّقْوَى، فقال: (أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ).⁽²¹⁾

وقد درج السلف الصالح من الصَّحابة والتابعين وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي كُلِّ الْعُصُورِ عَلَى العناية بهذه الوصية العظيمة الشأن، فصاروا يتواصون بها، وقد تواترت في ذلك الآثار عنهم.⁽²²⁾

وإنما اكتسبت التقوى هذه المكانة الكبيرة في دعوات الرسل عليهم السلام ووصاياهم لأقوامهم؛ لأنها أُمُّ الوصايا، وجماع كل خير، ونجاة من كل شر عاجل وآجل، وغاية الدين.

وبالتالي فحريٌّ بكل مسلم أن يعظم هذه الوصية الجليلة التي عظمها الله ﷻ ورسله عليهم السلام، وأن يتحلّى بتقوى الله ﷻ في نفسه أولاً، ثم يذكر غيره بها، ويجتهد في إصلاح قضايا المسلمين سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية بها.

2- تنوع أساليب الدعوة إلى التقوى: يتبين من دعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى، أنهم نَوَّعُوا في استعمال أساليب طلب التحلي بها؛ وذلك ليقوّي أحدهما الآخر، ومنها:

أ.- أسلوب الحضّ، حيث جاء الحضّ على التخلُّق بها بأسلوب الاستفهام التحضيضي، كخطابهم لأقوامهم بعبارة {أَلَا تَتَّقُونَ؟}، وهذا الأسلوب أدعى إلى التفكير واتخاذ القرار دون ضغط، وقد يأتي الأسلوب ذاته بمعنى الإنكار على أقوامهم.

²¹ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، (1395هـ - 1975م)، كتاب أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع حديث رقم (2676)، (4/ 341)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

²² عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَّلامِي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدِي أبو النور. ط2، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1424هـ - 2004م، (2/ 475) - (2/ 483).

ب.- أسلوب الأمر، حيث جاء الحثّ عليها أحياناً بصيغة الأمر، كخطابهم لأقوامهم بعبارة {فاتقوا الله}، ويبدو أنّ استعمال الرسل عليهم السلام للأمر الصريح قد جاء بعد التفكير والتعليل والنصح.

ج.- بيان ثمار التقوى: **فها هو ذا نوح** ﷺ يقول لقومه: {وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: 63] شديداً على التحلّي به، وها هو موسى ﷺ يقول لقومه: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف: 128]، ولا شك أنّ في ذكر ثمرات الأمر الدينيّة والأخرويّة ترغيباً عظيماً.

د.- أسلوب الترغيب، ومن ذلك تذكير الرسل عليهم السلام لأقوامهم بنعم الله ﷻ عليهم، فهذا شعيب ﷺ يقول: {وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى} [الشعراء: 184]، وهذا هود ﷺ يقول: {واتقوا الذي أمّركم بما تعلمون} [الشعراء: 132].

3- تعدّد ثمرات التقوى: للتقوى ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة؛ وذلك لعظيم مكانتها، وقد فصلت آيات الذكر الحكيم الجزاء الجزيل الذي أعدّه الله ﷻ للمتّقين، فمن ثمراتها ما يأتي:

الأولى: تنزّل الرحمة الإلهيّة في الدنيا والآخرة: ويلاحظ هذا المعنى مما ورد على لسان نوح ﷺ، وذلك بعد ما أمر قومه بالتقوى، فقال لهم: {وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: 63]، ولا شك أنّ رحمات الله ﷻ في الدنيا والآخرة لا تُكون إلا للمتّقين، مصداقاً لقول الله ﷻ: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 156]، قال ابن كثير -رحمه الله- مفسراً: "أي: سأجعلها للمتّصفين بهذه الصفات وهم أمة محمد ﷺ الذين يتّقون أي: الشرك

والعظائم من الذنوب" (23)، ويوضح ابن القيم المقصود بالرحمة ههنا بأن المكتوب للذين يتقون نوع خاص من الرحمة الإلهية الواسعة. (24).

والثانية: حصول العاقبة الحسنة والطيبة لأهلها في الدنيا والآخرة: ويلاحظ هذا المعنى مما ورد على لسان موسى عليه السلام، وذلك بعدما أمر قومه بالتقوى، فقال لهم مبيناً ثمرتها: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف: 128]، وقد قرّر الله تعالى هذه الثمرة في آيات كثيرة؛ منها قوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} [الرعد: 35].

4- وجوب التقوى: تواترت الآيات الكريمة الآمرة بتقوى الله تعالى، مما يدل على وجوب الاتصاف بهذه الصفة الجليلة؛ لأنه كما هو مقرر أن الأمر يفيد الوجوب، إلا أن تصرفه القرينة عن ذلك، ومن شواهد ذلك أمره تعالى بهذه العبادة الجليلة أنبياء ورسله عليهم السلام، حيث أمر بها خاتم الأنبياء محمداً عليه السلام بهذا النداء الصارم: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} [الأحزاب: 1]، كما خاطب تعالى بها أمهات المؤمنين، فقال: {وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً} [الأحزاب: 53]، وقد تواتر الأمر الإلهي بالتخلق بالتقوى في العديد من آيات القرآن الكريم، حيث أمر تعالى بها عباده عامة، وأمر بها المؤمنين خاصة، كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119]، وسار رسله عليهم السلام على هذا النهج، حيث أمروا أقوامهم بتقوى الله تعالى، حتى وصل الأمر إلى أن تتردد هذه العبارة القصيرة {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} بنصّها على السنة كثير منهم عليهم السلام، بل بلغت العناية الربانية بهذه القضية مبلغاً عظيماً، حيث جعلت مهمة

23 انظر، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ / 1999م، (3/ 483).

24 انظر، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. ط1، لبنان: بيروت، دار المعرفة، 1398هـ/1978م، (ص: 263).

الملائكة في تبليغ وحيه إلى رُسُلِهِ عليهم السلام متمثلًا في أمرين، هما: تقوى الله ﷻ وتوحيده، فقال: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} [النحل: 2].

والمُتأمل في حديث القرآن الكريم المتكرّر عن التقوى، وعناية الرسل عليهم السلام الشديدة بها، يتأكّد أنّها فريضة وليست فضيلة فحسب، وعليه ينبغي على الدعاة أن يُبرزوا هذا المعنى بجلاء كما وضّحه رُسُلُهُ عليهم السلام وفق المفهوم القرآنيّ.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أمّا بعد:

فإنّه بعد الجولة العطرة بين ثنايا موضوع (دعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى في ضوء القرآن الكريم)، من خلال استقراء العديد من الآيات القرآنية، يمكن الخلوص إلى النتائج الآتية:

* أجمع تعريف للتقوى في الشرع، هو أنّ التقوى في الطّاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها التّرك.

* تنوّع أساليب دعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم إلى التقوى، فتارة تأتي بصيغة الأمر الصريح، كخطابهم لأقوامهم بلفظ {فاتقوا الله} ونحوه، وتارة بأسلوب الاستفهام التحضيضي أو الإنكاري، كخطابهم لأقوامهم بلفظ {أَلَا تَتَّقُونَ}؟ ونحوه، وثالثة ببيان ثمارها العاجلة والآجلة، وأخرى بأسلوب الترغيب، كتذكير أقوامهم بنعم الله ﷻ عليهم.

* للتقوى ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة؛ فمن ثمراتها - كما بيّن الرسل عليهم السلام لأقوامهم -، تنزّل الرحمة الإلهية في الدنيا والآخرة، وحصولُ العاقبة الحسنة والطّيبة لأهلها.

*التقوى فريضة وليست فضيلة فحسب، ومن شواهد ذلك تواتر الآيات الأمرة بتقوى الله ﷻ، وتتابع الأوامر الصريحة التي ترددت على ألسنة العديد من الرسل عليهم السلام.

وفي ضوء هذه النتائج، فإن الباحث يوصي بما يأتي:

1. توجيه البحوث العلمية إلى البحث في العبادات القلبية كالتقوى في القرآن الكريم والسنة النبوية، ودراسة أثرها في تنمية الشخصية.
2. العودة إلى المفهوم الأصيل للتقوى، وإظهار أنها قيمة جوهرية لكل مسلم، وتفعيل هذه القيمة عبر نشر ثقافة التقوى وتنميتها من خلال وسائط التربية كالمدرسة والأسرة والمسجد ووسائل الإعلام.
3. عقد ورش عمل ودورات تربوية للخطباء والإعلاميين؛ لدراسة كيفية تطبيق التقوى في مجالات حياتنا المختلفة.
4. تبني المربين لنظرية تربوية إسلامية تركز في مضمونها على تقوى الله ﷻ ورقابته. وبعد؛ فهذا ما يسر الله ﷻ للباحث الوصول إليه في هذا البحث المتواضع، وأسأله ﷻ أن يجعلنا من المتقين، وصلوات الله وسلامه على أشرف خلقه وتاج رسوله محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

✓ القرآن الكريم.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. ط1، لبنان: بيروت، دار المعرفة، 1398هـ / 1978م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، النبوات. تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط1، المملكة العربية السعودية، الرياض: أضواء السلف، 1420هـ / 2000م.
- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، ط2، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1424هـ / 2004م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. التحرير والتنوير. (د. ط)، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ / 1999م.

- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب: المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق، دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، 1412هـ.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط3، بيروت: دار ابن كثير، 1407هـ / 1987م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى: سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ / 1975م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف: التعريفات. ط1، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ / 1983م.
- رضا، محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). (د. ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل. تخريج: الإمام الزيلعي. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ.
- زهور، نبيل محمد أحمد: التقوى في القرآن الكريم تفسير موضوعي. رسالة ماجستير، فلسطين، كلية الشريعة، جامعة النجاح، 2008م.
- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي — الخواطر. ط1، مطابع أخبار اليوم، (د. م)، 1997م.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: محمود محمد شاكر، ط1، (د. م)، مؤسسة الرسالة، 1420هـ / 2000م.
- طنطاوي، محمد السيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط1، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.
- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المعجم الشريف. (د. ط)، القاهرة: دار الحديث، (د. ت).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ / 1964م.
- المراغي، أحمد بن مصطفى: تفسير المراغي. ط1، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1365هـ - 1946م.
- النويصر، عبدالله بن ناصر بن صالح: التقوى في القرآن الكريم دراسة موضوعية. رسالة ماجستير، السعودية، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1408هـ.